لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٦ من السنة ٧ عن شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٩

اليزيدية

La Tombe de Sheikh Ady et ses origines.

— ٢ —

مقام الشيخ عادي هو دير يوحنان ويشوعسبران

بعد كلامي عن زمن تسمية اليزيدية وعن شرف الدين محمد بجدر بي ان انتقل الى مقام « الشيخ عادي (١) » (على ما يلفظ اليوم) الذي هو معبد اليزيدية (٢) ومحجهم الاكبر . فقد جاء عنه في المستند انه كان دير مار يوحنان ومار يشوعسبران ويفهم من المستند انه كان احتلال هذه النحلة له قبل سنة ٦١٩ (١٢٢٢) بثلاث سنوات وان ذلك الزمن كان زمن الخليفتين العباسيين الظاهر (خلافته ٣ـ

(١) اكتب "عادي" بالف كاما ذكرته نقلا عن مستند وامبشوع وعن تابع هذا الرسم

(٢) للقس الفاضل سليمان الصائغ مقالة في « الشيخ "عادي" » في المشرق (٢٠:[١٩٢٢] ٨٣١) قبل طبعه تاريخ الموصل. ومما في مقالته ان « بناء المعبد وهندامه على نسق كنائس النصارى في الاعصر الخالية وزد عليه ما يرى على جدرانه في الداخل من الخطوط الكلدانية بالقلم الاسطرنجيلي وقد طليت عمدا او جهلا فهم تولي السنين قد اتضح قسم من هذا الطلاء وبرزت من تحته بعض الحروف. وقد رأينا كتابات اخرى بالقلم العربي ورسوما على جدرانه من الخارج وبعض الجنادل وبظهرانها حديثة . » اه

٦٢٢ = ١ ـ ١٢٢٥) و المستنصر (١) (مبدأ خلافته سنة ٦٢٣ هـ ـ ١٢٢٦ م) ويبين لي ان صاحب المستند لم يكن واقفا على خليفة ذلك الزمن فاوهم في كلامه اسم كل من هذين الخليفتين اللذين كانا قريبين من ذلك العهد (كانت السنون الواقعة بين ٦ ـ ٦١٦ من سني الناصر) او ان المستند اخطأ في عدد السنين فكانت النتيجة ان الاستيلاء كان في عهد الظاهر او المستنصر .

ولقد استطرد تاريخ الموصل (١ : ٢٩٥) في بحثه الى هذا الموضوع وحدثنا عنه ومما استند اليه مخطوطة راميشوع ومنظومة لايشوعياب بن المقدم واسترشد هذا التاريخ برأي « نو » (مجموعته ص ٤) المنقول عن فرنك Frank القائل لابد من انه كان عديان فيما بعد لم يعرفه المستشرقان فاوضح ان عديا هو غير عدي بن مسافر بل هو [ابو المفاخر شرف الدين] عدي بن ابي البركات وقال (١ : ٣٠٠) : « لعل عدي الذي احتل دير يوحنان ويشوعسبران هو عدي ابو البركات [يمكنه ان يقول : عدي بن ابي البركات كما ذكره ايضا] لقربه من التاريخ الذي يعينه صاحب المخطوطة اذا سلمنا بصحة روايتها » الخ .

(١) من الغريب ما نراه في مجموعة « نو » (ص ٦١ ح) ذلك ان خلافة الظاهر كانت من سنة ١٢٢٦ م الى سنة ١٢٤٣ م [٤١ ـ ٦٢٣ هـ] وان خلافة المستنصر ـ وقد وهم ايضا وقال انه آخر الخلفاء ـ كانت من سنة ١٢٤٣ م الى سنة ١٢٥٨ م [٥٧ ـ ٦٤١ هـ] ثم بنى صاحب الحاشية على هذا الغلط امثلة طرحها على نفسه ولو تدبر زمن هذين الخليفتين فعرف سني خلافتهما لما وقع في ذلك المأزق والحيرة . وفي المجموعة ايضا (ص ٧٦) خلاصة عن حوادث « دير الشيخ عادي » شك « نو » (ص ٦) في صحة نسبتها الى راميشوع كاتب المستند وظن انها للمبرد وقد زادها بعد حين . وفي هذه الخلاصة غلطات بارزة مما يؤيد صحة ما ذهب اليه « نو » . ومما جاء في الخلاصة المذكورة انه في سنة ١٥١٢ (لليونانيين) (١٢٠١ م ٥٩٨ هـ) قبض على الشيخ عادي النائب [للدير] واوفد الى هولاكو وترى (٢ ـ ٦١) ان ايفاد « عادي الكردي » الى الخان الاكبر ! وفي الحاشية انه هولاكو ولا بد ان يكون كذلك على يد الامير توما بن اخي جنكيزخان ! واخو جنكيزخان هو او تكين على ما جاء في الحاشية نقلا عن ابن العبري ! ففي عدد السنين المذكور في الخلاصة غلط اذ ان هولاكو كان من رجال القرن السابع للهجرة بل تطالعنا معلمة الاسلام الافرنجية ان ولادته كانت في نحو سنة ١٢١٧ م (٦١٤ هـ) ففي السنة التي ذكرتها الخلاصة لم يكن هولاكو قد ولد . فحق لـ « نو » ان يشك في نسبتها الى كاتب المستند اذ انها تخالف ما جاء في ص المستند . والغلط هو في عدد السنين كما قلت .

وجاء في المستند (نو ص ٦٤) ان المغول اخذوا عديا الكردي [شرف الدين عديا] الى مراغة وقضي عليه بالقتل لاستيلائه على الدير . اما قلائد الجواهر (١) في مناقب الشيخ عبدالقادر (٢) (ص ١١٠) فانه يذكر جهله تاريخ وفاته ولعل السبب قتله في بلاد قاصية اذا صح قول المستند .

ولابد ان يكون عدي هذا هو الذي استولى على الدير — على ما ظنه القس — وان مر بين الاستيلاء واخذ عدي الى مراغة نحو اربعين سنة .

وعلى ذكر مراغة اقول : ان اليزيدية في كلامهم عن اخبار عدي ذكروا لهذه المدينة على ما سمعه منهم المسيو سيوني (مجموعة نو ص ٨٠) وان قالوا عن قطرها غير ما نعرفه عنه . ولعل ذلك اثر طامس لما حكاه المستند عن ايفاد [شرف الدين] عادي اليها .

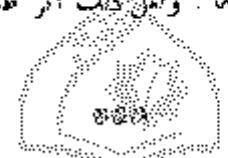

رأينا ان الاستيلاء على الدير كان قبل سنة ٦١٩ بثلاث سنوات او نحو تلك السنين ونرى هنا ذكر عادي [شرف الدين عدي] في زمن المغول وقد كان ذلك بعد اخذ الدير بنحو اربعين سنة وسنرى ما قالته رسالة الباشا (ص ٢-١٨) نقلا عن ابن شاكر ان شمس الدين الحسن قتل في سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) وله من العمر ثلاثة وخمسون عاما . فكانت اذن ولادته في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) فمن المحتمل ان والده شرف الدين عديا كان شابا حين ولادة ابنه وانه استولى على الدير وهو كهل وكان شيخا معمرا حين قتل . ويتضح من ذلك كله ان المستولي على الدير هو شرف الدين ابو المفاخر عدي بن ابي البركات .

وهنا نعترضنا مسألة عن زمن الاستيلاء على هذا الدير وهذه المسألة هي ان الشيخ عدي بن مسافر كان على ما رواه المؤرخون يسكن «لالش» التي قيل فيها ايضا ليلش وانه دفن في زاويتها على ما جاء في قلائد الجواهر (ص ٩٠) وان

(١) مؤلفه الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي . وفي تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ : ٢٩٧) ان وفاته كانت في سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) .

(٢) هو سوري الأصل والمولد وكان نائب قنصل لفرنسة في الموصل في الربع الاخير من القرن الماضي للميلاد .

المضيق الذي فيه « معبد الشيخ عادي » لا يزال الاكراد واليزيدية يسمونه مضيق لالش « تاريخ الموصل ١ : ٣٠١ » فيكون قبره في هذا الموضع اذا كان الموضع زاويته .

وفي رسالة الحسني « ص ٤ » ما يأتي : « اما اليزيدية انفسهم فلا يقولون بان هذا القبر هو قبر الشيخ عدي [بن مسافر] نفسه لانهم يعتقدون بانه تصور بعد موته بصورة مباركة عرج على اثرها الى السماء ... وانه ظهر بعد ذلك ملك صالح قال لهم : هذا قبره فصاروا يحجون اليه » اه . فاذا صح ما نقل الى الحسني يكون اليزيدية قد لفقوا حكاية العروج ليوجدوا لهم منفذا للتاويل لعدم وجود الرفات في محله اذ قد ورد عن ذلك « رسالة الباشا ص ١٩ » نقلا عن جزء مخطوط قديم في التاريخ (١) ان بدر الدين لؤلؤ نبش ضريح الشيخ عدي بن مسافر وحرق عظامه في سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٢ م) .

وان فرض ان عدي بن مسافر كان مدفونا في المعبد الذي في لالش فانه يترتب هذا السؤال : هل تعاقب استيلاء ان على الدير فكان احدهما في زمن عدي بن مسافر ثم اعيد الى اصحابه وكان استيلاء آخر في زمن شرف الدين عدي بن ابي البركات ؟ او ان زاوية عدي بن مسافر كانت في غير هذا الموضع — وقد تصرف في رفاته على ما رأينا — فجاء شرف الدين عدي او غيره بعده فوضع لاصحابه حكاية الدفن في هذا الموضع ليزداوا تمسكا بوضع اليد عليه ؟

(١) كانت مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٠١) قد نقلت القطعة الواردة في الرسالة عن هذا المخطوط القديم حين كان بملكه جرجس صفا قبل دخوله الخزانة التيمورية . ومنه اليوم نسخة شمسية في خزانة الكتب العامة لوزارة الاوقاف اهداها اليها صاحب الاصل الفضال سعادة الباشا . وكنت قد رجحت في هذه المجلة (٥ : ١٢٩ وغيرها) ان المخطوط هو الحوادث الجامعة لابن الفوطي الا ان سكوت سعادته عن تسميته بالعنوان الذي عرفته به وعن اسم مؤلفه يدلان على انه لا يزال مرتابا في ترجيحي . ولعل لديه ما ينفي ما ذهبت اليه وربما كان احد الاسباب التي يستند اليها ان المصنف لم يرو لنا حدثا شاهده بنفسه بينما كان المؤلف من ابناء ذلك الزمن .

عدي بن مسافر وابو المفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات

من يطالع مستند راميشوع بر ذكر عدي بن مسافر بن احمد من الاكراد المدعوين ترهايا وبر عديا الكردي فيخيل اليه لاول وهلة انه يريد بهما رجلين إلّا ان متدبر كلامه يقول انه يقصد بهما رجلا واحدا (١) فالمستند مصيب من ناحية ومخطيء من ناحية اخرى . وغلطه هو في تسميته لعدي — الذي اراد به — عدي بن مسافر — فضلا عن قوله ان مسافرا هو ابن احمد . والحوادث والوقائع التي اوردها تثبت ان زمن عدي الذي تكلم عنه لم يكن زمن عدي بن مسافر اذ لم يكن من زمن مسافر ولا زمن ابيه بل تدل على انها كانت في عهد شرف الدين عدي بن ابي البركات وهذه بعض البراهين اقتطفها من كلامه ضاربا صفحا عن غيرها :

١ — قوله كما رأينا : « اليزيدية جدوده [جدود عادي بن مسافر بن احمد] مكنة زوزان » ولا يذكر التاريخ اسم اليزيدية في زمن عدي بن مسافر وليس فيه اثر ان جدوده كانوا في زوزان .

٢ — قوله كما سبق : «عادي ابن اميرهم » [اي امير اليزيدية] وليس في ترجمة عدي ان اباه مسافرا كان اميرا ولم يكن في زمنه اسم « اليزيدية » معروفا بالمعنى الخاص بهذه النحلة (٢) .

٣ — قوله (ص ٥٨) : « ان لعادي ابنين : شرف الدين محمد وشمس الدين اللذان تزوجا مثل ابيهما نساء مغوليات تتريات » وحسبنا قول الرسالة (ص ٢٧) عن السخاوي وغيره ان عدي بن مسافر كان اعزب .

٤ — ذكره كما رأينا : « عزالدين صاحب ايقونية » وكان من رجال القرن السابع للهجرة على ما ذكره ابن العبري فلم يكن ذلك الزمن زمن عدي بن مسافر .

(١) الا انه جاء في القسم غير المنشور في دار السلام بحث لايمكن نسبته الى غير عدي بن مسافر .

(٢) راجع في رحلة اولياء چلبي (١ : ٥٩٦) ان ابا سعيد الناري استشهد مع الامام الحسين وانه مدفون في كربلا بعد ان قتل عددا جما من « اليزيدية » فالظاهر ان من كان تحزب ليزيد الاموي كان يسمى يزيديا ايضا في عهد او لياء چلبي وانه اسم غير الاسم الخاص بهذه النحلة او ان قلم اولياء چلبي وضع عفوا هذا الاسم دون ان يكون شاعرا

٥ــ ذكره في تلك الحوادث (ص ٦٣) « باجو نوين » وهو مذكور في ابن العبري في حوادث سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وغيرها بصورة « بايجونوين » وفي الحوادث الجامعة بصورة « باتجو » في سنة ٦ــ ٦٥٥ هـ (٨ــ ١٢٥٧ م) وفي مجموعة « تو » (ص ٦٣ ح) انه مذكور ايضا في التاريخ السرياني لابن العبري سنة ١٢٥٤ م . واذ كانت الايام التي يعيش فيها تلك التي رأيناها كانت وفاته بعد وفاة عدي بن مسافر بمائة سنة فمدي الذي عاصر بايجونوين هو غير عدي بن مسافر .

٦ــ ذكره في هذه الاخبار (ص ٦٤) « الملك الصالح بن بدر الدين » [بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل] وهو الذي خلف ابلا بعد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) فكان ذلك بعد وفاة عدي بن مسافر بقرن الى غير ذلك من الادلة والبراهين التي تؤيد ان عديا الذي تكلم عنه مستدنا في واقعة اسنيلا ـ الدير هو ابو المفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات وانه ليس عدي بن مسافر .

والذي يظهر لي ان قوله « اميرهم » في جملة « عادي ابن اميرهم » كما مر يجب عزوه الى ابي البركات الذي قال عنه قلائد الجواهر (ص ١٠٩) انه هاجر اليه [اي الى عمه عدي بن مسافر] من البقاع ... الى ان مات مسنا ودفن عند عمه الشيخ عدي بن مسافر . وقبره بها ظاهر يزار . » اه ومن البديهي ان من يخلف الشيخ عديا يكون مسموع الكلمة مطاعا فليس المستند بمغال اذا نعته بامير . ولم اقف على ذكر قبره في بحوث اليزيدية .

ولا بد ان اسم عدي [شرف الدين] بن ابي البركات كان شائعا في زمن كتابة رامبشوع لحكاية الدير وكذلك اسم عدي بن مسافر فالتبس على كاتب المستند الامر وضاع حتى قال ان عادي ــ وهو عدي بن مسافر على رأيه ــ كان مسلما بالاسم وانه على الصحيح كان يدين بدين « ترهايا » الذي اخذوه عن يزيد مايرده التاريخ . ولاشك ان جهله للتاريخ جعله يجعل كلمة « يزيد » محل « يزدد » حاضرة بين المجوس اتباع زرادشت وما ذلك إلا لان الكلمتين مؤلفتان من الاحرف نفسها ولان هذه النحلة ليست بخالية من رابطة تربطها بيزد اذ ان في معتقدها ما يمت الى دين المجوس او فرع منه ومن جهة اخرى « بيزيد » وقد بينت

ورسالة الباشا (ص ٤٤) منشأ اعتقادهم نحلته . وما قول المستند عن اعتقاد يزيد إلا لصقا به وهو بريء منه.

واذا كانت صحة لكلام المستند عن زيغ هذه النحلة فانه يجب نسبته الى زمن شرف الدين عدي فان ذلك يوافق ما قالته رسالة الباشا (ص ٣-٤٢) « انما بدأ الزيغ بعد موته [موت عدي بن مسافر] في رئاسة الشيخ حسن [شمس الدين] او قبله بقليل » اه . واذا صعدنا الى ما قبل شمس الدين نجد غير زمن ابنه شرف الدين عدي ؟ لكن قلائد الجواهر (ص ١١٠) — التي ترجم عديا هذا ابن ابي البركات — لم يروا لنا زيغا في معتقده بل يثني عليه .

والظاهر ان قتل بدر الدين لؤلؤ الشيخ حسن شمس الدين في سنة ٦٤٤ (الرسالة ص ١٩) لم يردع اصحابه عن الانقياد لتعاليمه بل زادهم غلوا في الاعتقاد فيه وبالشيخ عدي بن مسافر مما جرأ بدر الدين لؤلؤ على نبش ضريح الشيخ عدي بن مسافر وحرق عظامه في سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٤ م) على ما رواه الرسالة (ص ١٧) اذ لن كفاء العدوية عن بعضهم في المقاتلة التي قام بها عليهم بدر الدين لؤلؤ لاطلاق لسانهم فيه على ما ذكره المخطوط لا تستلزم رجوعها هذا العمل بالضريح . والظاهر ايضا ان بعد ذلك رجعت العدوية عن ضلالهم. فان ابن خلكان (وفاته سنة ٦٨١ هـ) يذكر انهم «على جميل الاعتقاد» .

ومما رواه المستند (ص ٦٧) (١) قال : « وقعت مذبحة في دمشق في زمن خلف يزيد ونفي منها من كان يوالي يزيد الى جبال زوزان وبلاد فارس وقتل الوف وكان ينظر الى من بقي من هؤلاء كما ينظر الى المكروهين حتى ظهر في سنة ١١٩٠ اليونانيين (٨٧٩ م - ٢٦٦ هـ) احمد جسد الشيخ عادي فرأسهم ثم كان بعده ابنه مسافر ثم ابن مسافر الشيخ عادي فعداهم عادي الى التوحيد . لكنه فرض عليهم ان يؤمنوا بان يزيد كان الها وانه هو ايضا كذلك اله ثم اضاف شرف الدين وشمس الدين ابنا عادي اعتقادات شتى الى معتقداتهم كما يرويه تاريخهم » انتهى كلامه معربا عن الفرنسية بتلخيص . فارجاعه عاديا وابناه مسافرا وحده الى زمن يقرب من الخليفة يزيد الاموي غلط بين وتسميته

(١) هي من الصحائف غير المنشورة في دار السلام .

جد عدي « احمد » هو ضرب من التلفيق اذ ليس بين جدود عدي من اسمه احمد ونسبه مذكور في ابن خلكان . ولا ادري الى اي من الوقائع يرمي في كلامه هذا. واغلب ان المستند اراد ان ينقل خبر هجرة ابي البركات والد شرف الدين عدي من البقاع الى « جبل الهكار » — كما رأينا في قلائد الجواهر — فشطح الى زمن خلف يزيد .

اما لصق المستند بعادي الكردية وترهايا « التيراهية » فله وجه هو ان ابا البركات كان قد هاجر الى هذه الاصقاع الكردية فلابد ان ابنه شرف الدين عديا نشأ بين ظهراني الاكراد فكان يتكلم لسانهم فعده المستند من « ترهايا » . وقد رجع المستند بعض الرجوع فقال : « ومن الناس من يقول ان اسرتهم (اسرة عادي) اموية النسب » اه

رأينا قبيل هذا ان الشيخ عادي هدى اليزيدية الى التوحيد وانه فرض عليهم اعتقاده ويزيد ما فرضه . ولعل هذا التعليم كان لشرف الدين عدي اذ لعله كان يقول بالحلول إلّا اننا ننفي كل ذلك عن عدي بن مسافر كما يرينا ابن خلكان وغيره .

والنتيجة ان الذي يلوح لي هو ان جدود اليزيدية كانوا على دين مخالف للتوحيد ثم اسلموا في زمن عدي بن مسافر وفيهم القوم المسمى ترهايا (اي التيراهية) وانهم من الاكراد كانوا مسلمين في زمن شرف الدين ابي المفاخر عدي ويداخل اعتقادهم الحلول ثم كانوا على جميل الاعتقاد في زمن ابن خلكان بشهادته — ولا يسعني إلّا الاخذ بها — واخيرا ارتدت « ترهايا » الى دينهم القديم دين اناويرة ذي المبدأين او الى بدعة منه ومزجت بذلك اقوالا شوهتها فابعدتها عن اليهودية والنصرانية والاسلام مع تعظيم لعدي بن مسافر وغيره تعظيما لا يليق بمخلوق ويضاف الى ذلك ما استنبطته قرائحهم من الاوهام والخيالات فتطورت ديانتهم طورا بعد طور .

وخلاصة القول ان الشيخ الاقدم لهذه الدحلة قبل زيغ اربابها كان عدي بن مسافر فلم يكن عاديا او هاديا او ادي (بفتحتين مع تشديد الدال) وما شاكل ذلك من الاسماء التي لاصت لكثيرين من الذين كتبوا عن اليزيدية فراحوا الى

حيث لا يعلمون وذهبوا الى ان جدود اليزيدية الحاليين لم يكونوا مسلمين وقتا من الاوقات . ويشبه بطريقة معكوسة هذا القول المردود الذي غدا الكتاب يرجعون عنه قول من كان يرجع الصابئية «ديانة الصبا اي المندائية» الى النصرانية ويقول عن اصحابها انهم فرقة من النصارى تاهت سبع غياهب الضلال فيجوز لنفسه تسميتهم « نصارى القديس يوحنا (المعمدان) » . ولا ينكر اليوم احد ان تلك التسمية كانت غلطا فضيحا .

❀❀❀

قلت ان اليزيدية كانوا قديما على معتقد مخالف للتوحيد فهل كانوا على دين القوم المسمى ترهايا (التيراهية) او على بدعة من هذا الدين ؟

قال تاريخ الموصل (١ : ٢٠٩ ح) نقلا عن كتاب التاريخ السرياني [يريد به تاريخ ابن العبري بالسريانية] ص ٢٠ : ان التيراهية هي الوثنية القديمة اي ديانة زرادشت » اما الذي تراه في مجموعة « نو » (ص٥٨ ح) ترجمة عن ابن العبري والذي سمعته مني عربت لي كلام ابن العبري بالسريانية ان ترهايا « التيراهية » كانوا على وثنيتهم القديمة وانها المجوسية [وفي ترجمة « نو » ديانة زرادشت . والكل واحد] . ولخص تاريخ الموصل ايضا كلام ابن الاثير [١٢ : ٨٢ في حوادث سنة ٦٠٢ هـ ـ ١٢٠٥ م) عن التيراهية من ذلك نقله ما يلي : « وكانوا (وكان التيراهية) كفارا لادين لهم يرجعون اليه ولامذهب يعتمدون عليه » والظاهر من كلام ابن العبري وابن الاثير والمستند ان ترهايا « التيراهية » لم يكن اسم ديانة بل اسم قوم فيصح ان يرتأى انهم كانوا على دين المانوية القائل بمبدأ الخير ومبدأ الشر ـ وكان مركز اهل هذا الدين مدينة يزد ـ او على بدعة من هذا الدين وان جدود اليزيدية كانوا قديما على هذا الاعتقاد ثم كان من امرهم ما رويته . ولا يزال اليزيدية يعتقدون مبدأين هما مبدأ الخير ومبدأ الشر . ويخافون مبدأ الشر خوفا لا فوقه خوف ولا مزيد عليه .

النتيجة

١ ـ كان مقام « الشيخ عادي » الدير المصطبح عليه بدير مار يوحنا ومار يشوعسبران وكان الاستيلاء عليه ٦١٩ هـ (١٢٢٢م) او نحوها والمستولي عليه

هو ابو المفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات واهل كان استيلاء آخر سبق هذا الاستيلاء في زمن عدي بن مسافر .

٢ــ كان مبدأ زيغ اليزيدية عن الاسلام في زمن الشيخ حسن [شمس الدين] او قبله بقليل كما قالت رسالة الباشا والظاهر ان ذلك كان في زمن شرف الدين عدي بن ابي البركات والد الشيخ حسن شمس الدين وهذا شرف الدين عدي غير عدي بن مسافر .

٣ــ كان جدود اليزيدية على دين مخالف للتوحيد . وهو الدين الذي كان يعتقده القوم المسمى « نرهايا » (النيراهية) ثم اسلموا على يد عدي بن مسافر ثم زاغوا وبعده كانوا على جمل الاعتقاد في زمن ابن خلكان ثم ارتدوا الى دين المانوية ذي المبدأين او الى بدع تقرب وتوجوا بذلك اقوالا شوهوها عن اليهودية والنصرانية والاسلام بما اوهام وضعوها فكان لهم دينا جديدا .

أجمال الدين الشافعي الهندي هو اخو عز الدين اليزيدي ؟

ولكان احب ان اقتدي بسعادة الباشا الذي رجع بعض العثمانيين المسلمين فاشير الى اخ مسلم لاحد اليزيدية .

من مخطوطاتي كتاب الدر النضيد في ادب المفيد والمستفيد لرضي الدين بن (؟) الغزي العامري جاء في مقدمته انه جمع هذه الرسالة من مقدمة شرح . . . (هذا شيء لا يقرأ) للشيخ الامام محيي الدين النووي ومن غيرها . وفي آخر النسخة قال كاتبها انه علي بن احمد بن علي البغدادي وانه فرغ من نقلها من خط مؤلفها في رجب سنة ٩٣٢ (١٥٢٥ م) ويتلو ذلك في ظهر الصحيفة كلام للمؤلف فحواه ان كانت النسخة « الشيخ الفاضل العالم علاء الدين ابن الشيخ الامام العلامة المحقق الاوحد القاضي شهاب الدين احمد بن علي البغدادي » قرأ نسخته عليه في مجالس آخرها في السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة ٩٣٥ (١٥٢٨ م) . ومن الاتفاق الغريب ــ وهو بيت القصيد ــ ان في الورقة الاولى من النسخة كتابة نصها : « ملك الفقير الحقير جمال الد [ين] (*) بن يوسف البابلي (١) الشاذ [مي] (*) القادري العدوي عفا الله عنهما » الاخ العصر واسم الاب

(*) الكلمة مقطوعة بسكين المجلد . (١) نسبة الى بابلي او (كما صورها ياقوت) بابلا قرية من قرى حلب وفي اعلام النبلاء للطباخ (٣ : ٣٥٨) انها باب « باب الله » .

والنسبة العدوية تشك في الظاهر ان مالك النسخة كان اخا لعز الدين المتوفى سنة ٩٤٨ هـ الذي سبق الكلام عنه في ص ٣٠٩ مع ترجمته وسبق ذلك انه كان يزيديا وان جمال الدين هذا لم تكن قد راقت قدمه ل بقي مسلما او انه كان قد رجع عن اعتقاد اليزيدية .

اليزيدية في كتب تركيه وفارسية .

وفي ما اطلعت عليه من البحوث حول اليزيدية لم اصادف نقل شيء عنهم عن كتاب تركي وفارسي وقد نقلت في مقدمة بعض ماجاء عنهم في كتاب «شرفنامه» وكان انقل الملفتنا ما ورد في ذلك الكتاب وغيره من معتقدهم . فقد جاء في شرفنامه (١ : ١٠) انهم يؤمنون ان عديا بن مسافر هو احد تابعي الخلفاء المروانية . . ومعتقدهم الفاسد هو ان الشيخ عديا قد كفل لهم بالصوم والصلاة وادخر لهم المخالب [المسؤولة] عن ذلك . وانهم بغض وعداوة لامام الظاهر عليه السلام .

ومن ذكر اليزيدية كتاب تركي في الجغرافية اسمه جهانما للكاتب جلبي (١) (ص ٤٣٨ و ٤٤٠ من طبعة قسطنطينية) نقل فيه (ص ٤٤٩) عن معتقدهم : « انهم ينسبون انفسهم من مريدي الشيخ هادي (كذا) وهو من الخلفاء المروانية . وقد زاغ اليزيدية عن مسالك الصوفية وهووا في طريق الضلال فهم زنادقة ملحدون واكثرهم جهلة . ومن يكون شيخا عندهم يعتم بعمامة سوداء ولذلك يسمى « قره باش » [الاسود الرأس] وهم لا يدعون نساء ملتهم يفلتن من ايديهم ويشترون مواضع من الجنة ويجتنبون لعنة الشيطان ويزيدون لعنة كل شيء ويقولون ان الشيطان ملك مقرب وان الشيخ هادي (كذا) قد كفل بصومنا

(١) ويسمى ايضا الحاج خليفة وهو مؤلف كشف الظنون . وكانت وفاته في سنة ١٠٦٧ : (١٦٥٦م) والكتاب من اهم الكتب التي طبعت في الاستانة وتاريخ طبعه سنة ١١٤٥ : (١٧٣٢م) وفي مقدمة الناشر انه لم يجد المبيضة وان الذي وجده هو المسودة وانه ضم اليه تحت كلمتي «تذييل الطابع» ما رآه مناسبا من طبع صور للارض واشكال للسماء وتوسيع في المقال ناقلا بعض ذلك من المآخذ التي راجعها المؤلف . وافادنا الناشر ايضا انه اتم بعض المباحث من جغرافية ابي بكر بهرام الدمشقي وانه درج ما وجده فجعله هامشا على الاصل [وذلك في المتن نفسه] وسنرى قولا يتضح منه انه نقل من شرف خان مصنف شرفنامه . ولا بي بكر بهرام ترجمة في سلك الدرر للمرادي (١ : ٥٠) وفيها ان وفاته كانت في سنة ١١٠٢ : (١٦٨٧ م) .

وصلاتنا ودخولنا الجنة يوم القيامة بدون حساب ، ولهم عداوة شديدة لعلماء الظاهر . » وصيغة هذا الكلام تدلنا على انه منقول من « شرفنامه » مع بعض اضافات . وفي « جهانما » ايضا (ص ٤١٨) ما تعريبه :

« سكمان آباد ، ناحية قرية من خوي ، والمتمكن فيها عشيرة دنبلي التي يقول شرف خان عن نسبها انه يتصل برجل اسمه عيسى(١) من امراء الشام وان عيسى هذا كان قد جاء من ديار الشام فالتحق بخدمة ملوك ايران فاعطوه بطريق الـ « او جاقلق (٢) » ناحية سكمان آباد من اعمال خوي فجمع يوما بعد يوم العشائر والقبائل فاشتهرت باسم دنبلي وكانت هذه العشيرة في مبدأ امرها يزيدية ثم صار من ابناء السنة بعض امراء العشائر وكبرائها ونبذوا الكفر والبدعة فاهتدى اغلب القوم إلا ان كثيرا منهم بقي على ضلاله » اه والظاهر ان هذه القطعة منقولة من شرفنامه ايضا (١ : ٣٢٠) وفيه ان عيسى كان من اعراب الشام .

ومن الذين ذكروا اليزيدية في القرن الحادي عشر من كتبة الاتراك اوليا جلبي في رحلته (٣ : ٢٢٦ و ٤ : ٢٣٠) وذكر معتقدهم (٥ : ٧٠ ـ ٨) واعتبر الشيخ هادي (كذا) من الصحابة مما يغلط التاريخ بصورة بائنة .

التنكيل باليزيدية

ومما قاله عن اليزيدية اوليا جلبي (٦ : ١٤٢) ـ في ترجمة مالك احمد باشا والي بغداد وكان اذ ذاك واليا في ديار بكر ان في عهد السلطان ابراهيم اسلطنته من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١٠٥٨ هـ ـ ٤٨ ـ ١٦٣٩ م) جمع جيشا مؤلفا من ثمانين الفا فضرب بهم اليزيدية العصاة في جبل سنجار فقتل منهم ثلاثة عشر الفا ورجع سالما الى ديار بكر وقد اسر اثني عشر الفا .

وجاء في كتاب الآثار الجلية في الحوادث الارضية لياسين العمري ابن خير

(١) راجع عنه كتاب آثار الشيعة الامامية تاليف عبد العزيز جواهر الكلام المترجم الى الفارسية بقلم علي جواهر الكلام المطبوع في مطبعة المجلس (بايران) سنة ١٣٠٧ هجرية شمسية (١٩٢٨ م) (٤ : ٢٠٥). وقد نقل عن كتاب انساب الاكراد لابي حنيفة الدينوري وعن غيره من التآليف .

(٢) اوجاق للوقد واوجاقلق تعني تقليد منصب مع « ما لكانه » ولفا لكانه هو ما يعطى لموظف او لغيره من الارض ليتصرف فيها كمالك اوما يفوض اليه من رسوم يجبيها لنفسه .

الله العمري (مخطوطي (١) ص ٧٥) ما يلي بحرفه بدون تغيير :

« سنة ١٠٥٧ وسنة ١٠٥٨ (٨ ـ ١٦٤٧ م) سافر الى اسلامبول رجل من اليزيدية من بعض قرى الموصل واسمه ميرزا بك ودخل الى السراي وتوصل الى رجال الدولة وطلب له منصب الموصل او غيره فلم يتيسر له ذلك وخرج الى [من] اسلامبول مغاضبا وحرضه الشيطان على العصيان فجمع الاشرار وجعل يقطع الطريق وينهب القوافل . فجمع العساكر والي وان شمسي باشا وخرج من « وان » الى قتال اليزيدي [اليزيدية] وكانوا آمنين وقد اطلقوا خيولهم ترعى فحكبسهم شمسي باشا بمن معه وقتل اكثرهم وقبض [على] ميرزا بك بعدما اظهر شجاعته . وكان راكبا فرس بغير سرج ولجام واثخنوه بالجراح وقيدوه وحملوه الى اسلامبول لعند السلطان فامر بقتله . وقيل كان قتله في ايام السلطان محمد بن ابراهيم في اول سلطنته » اه . وفي كتاب غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر (٢) تجد ايضا اخبارا بالتكبل بهم وكذلك في غيره من المصنفات التي يطول بنا ذكرها وربما عدت الى جمعها .

حاشية على حاشية دار السلام

وسياق التتبع يدفعني الى ذكر الحاشية التي علقتها دار السلام على انبساء المستند الذي دار بعض بحثي عليه . ومضمون ما قالته هو الاعتماد على ما جاء فيه لعلمها ان كتابته كانت سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) والتصورها « ان الشيخ عديا قتل سنة ٨٥٥ فتكون كتابتها (كتابة هذه الانباء) بعد سنة من وفاته » . وقد رأينا في ما سبق ما حواه المستند فليس له تلك المنزلة التي راقت دار السلام لكنه اوضح لنا شيئا هاما عن زمن الاستيلاء على الدير . ولم تكن كتابة المستند سنة وفاة الشيخ عدي « كما قالت الوضيعة وهي تريد بالشيخ عدي عدي بن مسافر » فان وفاة هذا الشيخ كانت في احدى سني العقد السادس

(١) استكتبته على نسخة لفتح الله سرسم بالموصل ومن الكتاب نسخة في خزانة المتحف البريطانية

(٢) نسخة في خزانة الاباء الكرمليين كتبت على النسخة المحفوظة بدار الكتب البلدية في الاسكندرية وهي مرقمة ٢٠٣٦ د والكتاب لمؤلف الحوادث الجلية . ونسخة الاباء الكرمليين من هدايا سعادة احمد تيمور باشا الى حضرة الاب صاحب هذه المجلة .

من القرن السادس للهجرة (١) . فتكون كتابة المستند بعد وفاة عدي بن مسافر بثلاثة قرون وبعد قتلة شرف الدين عدي بن ابي البركات بقرنين .

لا عبرة لرسم « اليزيدية » بصورة « اليازيدية »

كنت اود ان الحسني لا يأبه كثيرا لرسم اسم هذه النحلة في مصوري الشمسي « وقد ذكره ص ١٥ » المخطوط بصورة « يازيدية » ذلك الرسم الذي دفعه — على ما اظن — الى ان يبني ما بناه « ص ٨ » بقوله ان اسمهم منحوت من يزدان مع تحريف . مع انه اطلع على رسالة الباشا التي فند فيها سعادته قول من يرى ان اليزيدية هي نسبة الى غير يزيد وحصر النسبة الى الخليفة يزيد .

ومما اكثر غلطات هذا المخطوط في الكتابة فضلا عن غيره فانه كتب في سطور «ص١» الانبية بمعنى « الانبياء » و الاولية « للاولياء » وتخاصمه إعند كلامه عن آدم وحواء] في تخاصمها » فمن كان على هذا الجهل له ان يكتب يازيدية عوضا عن يزيدية .

وقد نقل الحسني قطعة في رسالته (ص٣٢) قال انها من مقدمة لكتاب الجلوة وقد وردت في رسالة الباشا (ص ١٢) الذي قال انها جاءت قبل كتاب الجلوة كمقدمة في النسخة الاميركية واذ وردت في مصوري ايضا فيستدل من ذلك ان الذي في المصور ليس بشيء غير معروف بل هو الصحائف التي عرفها سعادة الباشا انها كمقدمة لكتاب الجلوة حتى ان التأليف ليس بقديم كما نعته الحسني فقد جاء في موطن منه « ص ٢٦ » بعد ان عد الفرائض الدينية التي يجب على اليزيدي ان يؤديها قوله : « جل هذه الاسباب وغيرها لا يمكن « يازيدي » يكون عسكري « جنديا » فلما قدموا « اي اليزيدية » عريضحال « عرضحال » بهذه الصورة واعطوا مبلغ دراهم للحكومة رضي ظاهر بك وان كان اركان حرب يصير يعطون بدل اي كل واحد يقع عليهم . وبقوا على هذه الحال ليومنا هذا في سنة ١٣٠٥ » الا «١٨٨٩ م » . وفي الصفحة الاخيرة من الصورة الشمسية شيء ممحو وتحته اسطر لا تقرأ كلماتها جميعها . والذي استخرجته من ذلك

(١) راجع الرسالة (ص ١٤ — ١٧) فقد جمعت ملخص تراجم عدي بن مسافر وفيها ما قاله ابن خلكان .

ان المخطوط مكتوب في سنة تصنيفه . وهناك كلمات تمكنت من قراءتها هي : « بطرس وملة السريان . ودير الزعفران . وماردين » اه . ومن المعلوم ان دير الزعفران هو مقر بطريرك السريان اليعاقبة بقرب ماردين ومن الصور نسخة في خزانة الكرمليين في بغداد واخرى عند الشيخ كاظم الدجيلي والاصل عند اسمعيل بك اليزيدي .

الشيخ عدي

كنت ذكرت في ما سبق كلاما عن عدي ولم اكن قد عثرت ان اليزيدية لا يزالون يعرفون « عدي » ويعظمونه حتى وقع بيدي اخيرا كتاب بالانكليزية اسمه « عبادة الملك طاووس تصنيف ايسن Empson الذي طبعه في سنة ١٩٢٨ وفيه ذكر عدي وذكر عين ماء تسمى [illegible] وهي سبع بحزاني ولعل عدي هذا هو الذي تكلمت عنه .

ان ما اوردته ليس ببحث قائم بنفسه لكنه فكر تالبحث عن معتقد هذه النحلة وتاريخها وديارها والامل ان تنقيب المنقبين يزيدنا علما بما بحثنا فيه . ويستحب التنقيب عن اخبار هذه النحلة في الكتب التركية والفارسية ولا سيما الارمنية لما كان الارمن ولها من وحدة الديار في بعض تلك الاصقاع وبين جوار بعضها لبعض الاخر وبالختام اردد لنفسي اني عرفت شيئا وغابت عني اشياء والتنقيب والتحقيق كفيلان بالكشف .

يعقوب افندي سركيس

«لغة العرب» هذا بحث دقيق طافح بالتمحيص لا يعرف قدره إلّا من وهبه الله حظا وافرا من روح التحقيق والاحفاء في الموضوع لا يتمكن منه كل امرئ بل هو قسمة بعض الرجال الافذاذ . ونقول بعد هذا : لا يمكن الباحث عن اليزيدية ان يقرع باب الموضوع بمثل ما كتبه الاستاذ الكبير سعادة احمد تيمور باشا وما جادت به قريحة البحاثة البعيد السمعة صديقنا صاحب هذا المقال . فنشكره على ما جاد به على هذه المجلة الى هذا اليوم وما يجود به عليها طالبين منه ان يوالي هذه البحوث لان القراء جميعهم يطالعون بلذة لا توصف ما توشيه براعته البديعة .